الأميرة الحكيمة
و
ابن صانع الأحذية

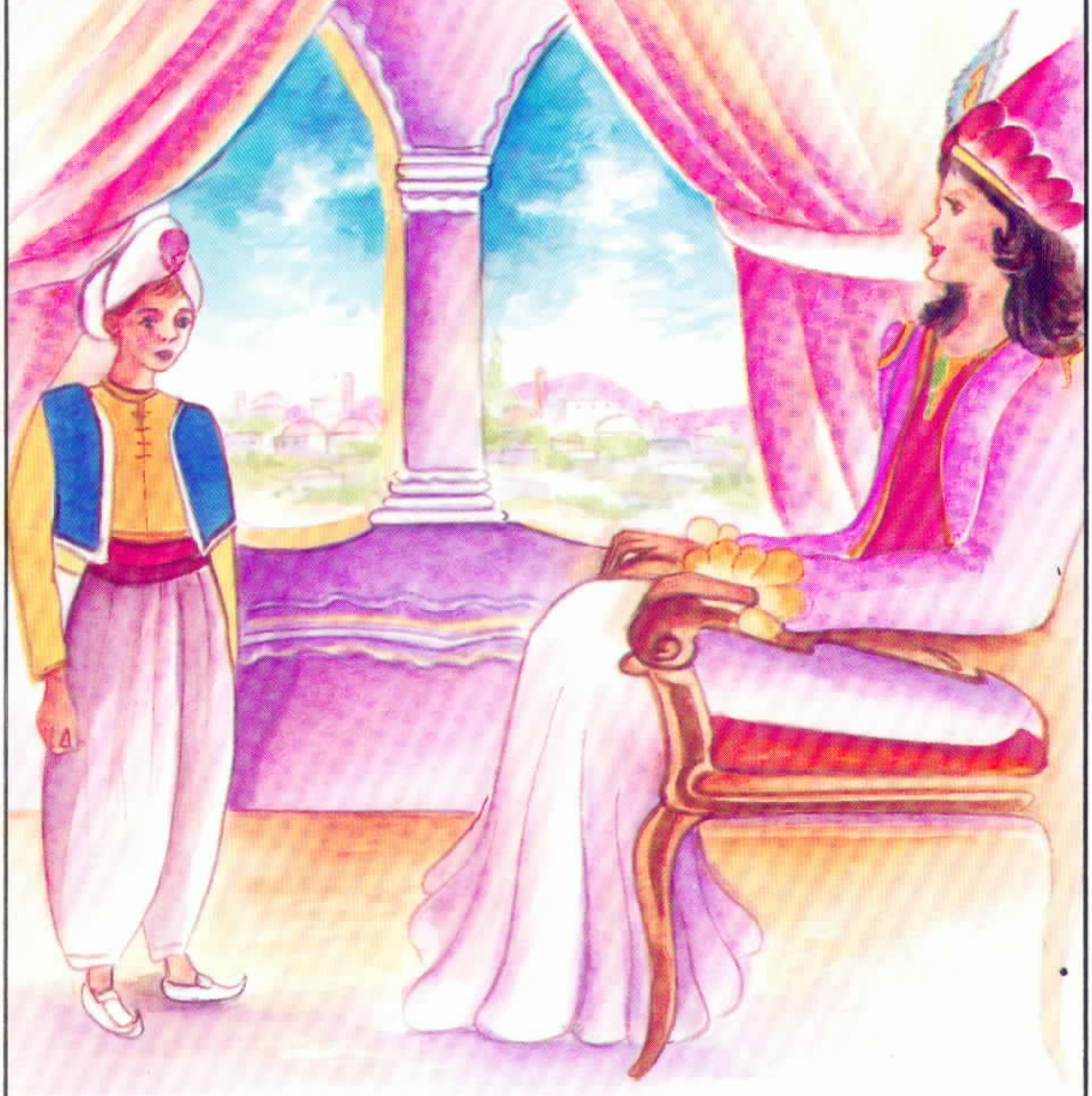

رندة حموي

«المجموعة الثالثة»

هـزَّ فادي رأسـه موافقاً وأنـهى ماكان يـأكله بـصمت. إنه يفكر بما قاله أكرم. ((نعم إني أروي أحيـاناً قصصاً خيالية، لكنّـي أفعل ذلك من بـاب المـزاح فقـط!)) وسـاوره شعـور بالـذنب إذ تـذكَّر أن مـزاحه كثيـراً ما كـان يؤدّي إلـى إزعاج أخته سـنا، وكان يقـول في نفسه حينئذ أن الفتيـات لايتمتّعن بالروح الرياضية ولايفهمن معنى الفكاهة. وخطرت في باله فكرة: ((سـوف أسـأل جدتـي، فهي تعـرف كل شيء وتتـمتع بالروح الرياضية رغم أنها "فتاة"!!))

وقـام فبحـث عنهـا ليجدهـا في الحـديقـة تقـطف بـعض الأزهار. وحينما سـألها عن الموضوع الـذي ناقشه مع أكرم أجـابتـه جدتـه: ((المزاح شـيء لابأس بـه مادام غيـرك يتفهم

الأميرة الحكيمة و ابن صانع الأحذية

- ((إن الفتيات ساذجات ويصدقن كل شيء)) هذا ماهمسه فادي في أذن أخيه الأكبر أكرم ذات يوم وهما يتناولان الحلوى في غرفة جلوس جدّتهما. وتابع يقول: ((فأنا مثلاً أستطيع أن أجعل سنا تصدّق أية رواية ألفّقها!))

نظر إليه أكرم بابتسامة تعجّب وأجاب: ((لا يافادي. ليس كل قصة!! إن بعض ماترويه لنا لايصدّقه أحد منا، بما في ذلك سنا!))

- ((حقاً؟)) بدت على وجه فادي ملامح خيبة الأمل.

أجابه أكرم: ((نعرف جميعاً حبّك للمزاح ولرواية القصص الخيالية، ولذلك فإننا نتظاهر، ولمجرد التسلية، بتصديق رواياتك. ماأظنك تفتعل الأكاذيب يافادي، أليس كذلك؟))

- ((الطبع لا. أنا لا أكذب وكل ماأفعله هو مجرد مزاح كما تعلم، بهدف التسلية.))

- ((احذر يافادي، إذ يفترض في التسلية المشاركة، وقد لايشعر المرء أحياناً أن مايضحكه هو، قد يسبب تعاسة الآخرين))

وبدأت الجدة تقول: ((كان ياماكان في قديم الزمان، كانت هناك أميرة حكيمة...)) نظرت سنا إلى جدتها وشعرها يلمع كالتاج تحت أشعة الشمس فقالت في نفسها: ((لابد أن جدّتي كانت في يوم من الأيام أميرة حكيمة!..)) أما فادي فكان واثقاً من وجود صبي أيضاً في حكاية جدته وليس أميرة فحسب!.

واسترسلت الجدة قائلة: ((وفي يوم من الأيام دخل مجلس الأميرة صبي..)) هنا شعر فادي بالسرور وازداد اهتمامه.

مزاحك، ومادت أنت لاتجرح مشاعرهم. أما في غير ذلك، فيمكن للمازح أن يسبب أضراراً بالغة، حتى لنفسه.))

سألها فادي: ((أتعنين مثلاً قصة الراعي الصغير الذي صاح مازحاً: ((الذئب!.. الذئب!!..))

وافقت الجدة: ((تماماً. فالمشكلة تبدأ عندما تؤخذ الفكاهة على محمل الجد، إذ تصبح عندئذ كذباً. وقد تنتقل من شخص إلى آخر حتى يصدّقها الجميع. إن الشائعات الكاذبة تسبّب الكثير من الشقاء.))

أجاب فادي: ((ولكن لابدّ أن الناس يميزون الخبر الصادق من الكاذب!))

- ((لايافادي. إن أكثر الناس لايقدرون على هذا التمييز، وحتى عندما يفعلون، يكون الأذى قد حل. يذكّرني كل ذلك بقصة صانع الأحذية المسكين.))

صاح فادي بانفعال: ((احكيها لي ياجدتي!.. قصّي علي القصة!!))

- ((عن أي قصة تتحدثان؟)) سألت سنا وهي تتجه نحوهما لتأخذ حزمة الورد من جدتها.

أجابت الجدة مبتسمة: ((ضعي الورد في المزهرية وعودي بسرعة ياحلوتي، فسأقص عليكم القصة!..))

ركضت سنا إلى داخل البيت صائحة بأعلى صوتها: ((إن جدتي ستقص علينا قصة...))

- ((لايعلم أحد بالذي يحدث تماماً. فكما تعلمين، إنها مجرد همسات هنا وهناك... ولكنهم يقولون إن أحذيته تجلب النحس.)) ابتسمت الأميرة مستنكرة: ((أحذيته تجلب النحس؟..))

أجابت صديقتها: ((والغريب أن الدلائل تشير إلى حقيقة هذا الظن، فقد لاحظتُ أنا ذلك، فأحذية صانع الأحذية تجلب سوء الطالع حقاً.))

لم تُدهَش الأميرة بذلك فقد اعتادت سماع أغرب القصص. واسترسلت الصديقة قائلةً: ((لقد وقعت مؤخراً أحداث مشؤومة كثيرة..))

قاطعتها صديقة أخرى قائلةً: ((اسمعوا.. لقد سمعتْ أختي من ابنة العمدة أن تلك الأحداث بدأت منذ اشترى العمدة حذاءه من صانع الأحذية في اليوم السابق لموعد إلقاء خطابه السنوي. لقد غصَّ بفطوره قبل ذهابه للإحتفال، ثم عندما بدأ بإلقاء خطابه راح يسعل ويشهق ويسعل حتى لم يفهم أحد من الحضور كلمة واحدة مما يقول، رغم ما يُعرف عنه عادة من براعة الخطابة!))

تحمَّست صديقة ثالثة قائلةً: ((أخبرني أخي أن الأحداث المشؤومة بدأت في المدرسة عندما لبست المعلمة حذاءها الجديد للمرة الأولى، فقد تحطَّم كرسيها حين جلست عليه ولم تتمكن من إتمام التمارين على اللوح!))

وتدخلت صديقة رابعة قائلةً: ((لا.. لا..!! لقد بدأ كل شيء في نادي السيدات. فقد ذهبت بعض العضوات لشراء الأحذية في مساء أحد الأيام، ولم تكد ترتدي كل منهن

((كان الصبي قلقاً جداً. أخبر الأميرة أن والده يعمل صانع أحذية وأن يزداد فقراً يوماً بعد يوم، لأن عدد الذين يقبلون على دكانه يتضاءل باستمرار. فقد افتُتح في المدينة معملٌ جديد للأحذية المصنوعة آلياً والتي تُباع بأسعار رخيصة. وأضاف الصبي منفعلاً: ((ولكن لاأحد يصنع أحذية متينة وجميلة كتلك التي يصنعها والدي بيديه!.. قبل أن يُفتَتَح المعمل كان لأبي زبائن من كل الطبقات وكان يصنع لكل منهم حذاءً يناسبه. إنه يستخدم أنعم الجلود المصبوغة بأجمل الألوان!.. حتى بعد افتتاح المعمل أخبره بعض الزبائن بأن أحذيته مريحة أكثر من أحذية المعمل وأنهم لن يشتروا أحذية مصنّعة آلياً مهما رخُص ثمنها. ولكن... ولسببٍ ما.. لم يعدْ الكثير من الزبائن القدامى إليه...))

ابتسمت الأميرة برفق وسألته: ((ما اسمك أيها الفتى؟))
- ((اسمي وادي ياسيدَّتي.))

قالت: ((سأرى مايكن عمله من أجلك ياوادي وسأخبرك فيمابعد..))

ترك وادي مجلس الأميرة وهو يشعر بشيءٍ من الراحة فقد استطاع أخيراً أن يشرِك أحداً في مشكلته.

جمعت الأميرة بعض صديقاتها وسألتهن عمَّا سمعن مؤخراً من أخبار المدينة. قالت إحداهن: ((يقال إن صانع الأحذية سيغلق دكانه قريباً.))

سألت الأميرة: ((ولماذا؟..))

لصديقاتها: ((الحمد لله أنني أرجعت ذلك الحذاء في الوقت المناسب. تصوري أي شؤم كان سيصيب ابنتي لو لبستُهُ في حفلة زفافها غداً!))

أجابت صديقتها: ((بل وأي شؤم كان سيقع فيما لو لم تلبسيه!!))

أجابتها بحماسة: ((نعم! تصوري ماكان يمكن أن يحدث لو بقي الحذاء وحده في البيت.. ربما اندلعت النيران لتأتي على البيت كلّه.. بل وقد يحدث أسوأ من ذلك حتى ولو ألقيتُ بالحذاء خارجاً.. فقد يحيط الخطر بالشارع كله!..)) حملقت بعينيها وأضافت: ((لاتنسي الأطفال الأبرياء الذين يلعبون في الطرق. أين سيلهو هؤلاء الأحباء الصغار وشبح الحذاء المشؤوم يداهمهم من جميع

حذاءها الجديد حتى تعرّضت لحادث مؤسف. فالأولى تعثرّت على سلّم أحد المطاعم المرموقة، فطار حذاؤها من قدمها وهبط في صحن حساء كان يحتسيه أحد رواد المطعم الوجهاء مما سبب لها حرَجاً لايوصف!! أما الثانية فكانت جالسة تحت شجرة كبّاد عظيمة في حديقتها تتأمل ثمارها إذ بثمرة عملاقة تقع على وجهها فتهشم أنفها!! أما الثالثة فبعد أن سمعت بالذي جرى مع صديقتيها أصابها ذهول عجيب، وضعت معه طعام القطة في قفص البلبل وأمسكت بالبلبل المسكين فأطعمته للقطة!!))

ضحكت الأميرة حتى دمعت عيناها وقالت: ((ومع ذلك فالحقيقة لابد أن تتجلي بإذن اللّه!..))

وفي اليوم التالي استدعت الأميرة الفتى وادي وأخبرته بما سمعت، فسألها وهو يشعر بالإحباط: ((نحس؟.. لقد كنت مستعداً لبذل كل جهدي لأعيد إلى والدي ازدهار صنعته، ولكن ماالذي يفعله الإنسان بصدد شيء كالنحس؟..))

أجابته الأميرة: ((لاتقلق ياعزيزي، فهناك الكثير مما يمكن عمله. أريدك منذ اليوم أن تخبرني بكل ماتسمعه وتراه، وسنعمل معاً لنصل إلى غايتنا.))

عاد وادي إلى دكّان والده ليقف بهدوء، كعادته، في مدخل الدكّان فيفتح الباب للزبائن عند قدومهم ويغلقه خلفهم عندما يغادرون.

أما في ذلك الأسبوع فقد حدث شيء غريب جداً، إذ جاء كل الذين كانوا قد اشتروا أحذيتهم من عند والده يرجعون الأحذية إليه!.. وقد سمع إحدى السيدات تقول

ولم يعد قادراً حسب قوله على مغادرة المنزل.)) اختتم وادي كلامه والبكاء يكاد يخنقه: ((إني خائف عليه!! إنه جداً مريض!))

تأثرت الأميرة لحزن وادي، فقالت بلهجة حازمة:
((اسمع ياوادي! إن والدك يشعر بالمرض ولكنه في الواقع ليس مريضاً. إنه منزعِج لدرجة أنه لايريد فتح دكانه! هذا كل ماهنالك. والنحس وهم، مثل مرض أبيك!))

ـــ ((ماذا تعنين؟)) سألها وادي وقد جذب كلامها كل انتباهه. ((هل تعنين أنه لاوجود للنحس في عالم الواقع وأنه مجرد وهم نتوهمه؟))

أجابته الأميرة قائلة: ((تماماً! أخبرْني: ألم تشعر أحياناً بصِحَّة أشياء تعلم جيداً بأنها مستحيلَة؟))

تسرَّع وادي فأجاب: ((كلا....)) ثم استدرك وقد قطب حاجبيه مفكراً: ((إلا أني.. إلا أني أشعر أحياناً بأني غير مرئي وكأني ألبس قبعة الخفاء..)) وشرح للأميرة مشاعره.

ـــ ((نعم، هكذا بالضبط!!)) وافقت الأميرة. ((لذلك لاتستعجل الأمور ولابد أن تعود المياه إلى مجاريها بإذن الله)).

عاد وادي إلى بيته وهو يشعر بالراحة والطمأنينة. أما الأميرة فبدأت مهمّتها في كشف الحقيقة، وكانت قد رسمت خطة لذلك وضعتها فوراً موضع التنفيذ.

الجوانب؟..)) وغرغرت دمعة في عينيها بعد أن صدَّقت هي نفسها..

أما وادي فارتعش قلبه لما سمع. إن الكبار كثيراً مايتجاهلون وجود الأطفال بينهم، فقد يكون الطفل معهم في الغرفة وعلى مرأى من الجميع ومع ذلك لاتدركه أبصارهم ـــ فيشعر الطفل عندئذٍ بأنه مخفيٌّ تماماً عنهم وكأنه يرتدي "قبعة الخفاء".

وكانت الحال دائماً كذلك مع وادي وزبائن أبيه. لقد سمع ماكانت السيدتان تعتقدان أنه حديث خاص بينهما دون أن تلحظا وجوده رغم أنه كان قد فتح لهما الباب مبتسماً عند دخولهما وودَّعهما عند خروجهما بالطريقة نفسها. لم تتفوه أي منهما بكلمة شكر ولكن وادي كان قد اعتاد ذلك. جاء زبائن آخرون وذهبوا وكلهم يعيدون الأحذية التي سبق أن اشتروها وفي أثناء ذلك يتبادلون الحديث نفسه. طبعاً لم يخبروا صانع الأحذية بالحقيقة. كانوا يتذرَّعون له بأعذار أخرى مختلفة. أما وادي فقد سمع كل شيء لأنهم كالعادة لم يكونوا ليلحظوا وجوده عند الباب. وكان يتألم لرؤية والده تزيده كل زيارة من زبون شحوباً وضعفاً.

ذهب وادي لرؤية الأميرة بعد انقضاء الأسبوع وحدَّثها أخباره فسألته: ((هل تعتقد بالشؤم ياوادي؟))

أجابها بصوت حزين: ((لم أكن أؤمن بالشؤم في الماضي أيتها الأميرة.. أما الآن فلست أدري. إني أرى والدي يزداد شحوباً يوماً بعد يوم وفي كل يوم يتأخر أكثر عن فتح الدكان حتى طلب مني أخيراً أن أفتحه بنفسي، لأنه مريض

طويلة القوام، إذ كانت تغطي رأسها بشيء يشبه العمامة البيضاء. وبينما الفتاة تقفز لمح حذاءها الجميل الزهري اللون ذو العقدة البنفسجية!! إنه من صنع والده!! فأسرع وادي يخبر الأميرة بما رأى.

رحَّبت الأميرة ووصيفاتها بالمدعوات أشدّ الترحيب، وبعد أن أنهى الجميع تناول الشاي والحلوى ورحن يتبادلن الحديث، بدأت الألعاب بعرض الجوائز أمام الحضور.

قالت عريفة الحفلة: ((جوائز اليوم ثلاث:
الجائزة الأولى سجادة من النسيج الطبيعي يدوي الصنع!))

نظرت المدعوات بإعجاب إلى جمال تصميم السجادة وتناسب ألونها، وتقدمت بعضهن يتلمّسنها وهن يبدين إعجابهن بنعومتها.

((الجائزة الثانية لوحة زيتة فريدة!))
وتردّدت في القاعة همسات الإعجاب عندما سُلِّطت الأنوار على اللوحة وبدا تناسق ألوانها وجمال خطوطها. كانت في الواقع قطعة فنية تبهر الأنفاس!!

((الجائزة الثالثة وشاح من الحرير الطبيعي مطرّز يدوياً!))

بعد أسبوع حافل بالعمل دعت الأميرة كلّ سيدات المدينة لتناول الشاي لديها. كن جميعاً يحببن حفلات الشاي التي تقدمها، فهي دائماً تستحدث ألعاباً جديدة تقدم فيها جوائز قيّمة.

وطلبت الأميرة من وادي الوقوف أمام بوابة القصر لمراقبة الضيوف حين دخولهم وقالت له: ((أخبرني فوراً عندما تلاحظ شيئاً غير عادي.))

كانت السعادة تغمر المدعوات وهن يتبادلن الحديث ويتضاحكن لدى دخولهن القصر، يرتدين أفضل ثيابهن. حتى لباس الفقيرات منهن كان جميلاً لأن مبعوثي الأميرة كانوا يحملون لهن أثواباً جديدة مع بطاقات الدعوة.

لكن الجديد في هذه المرة هو أنه لم تكن واحدة من المدعوات تلبس حذاء من صنع والده!! وقد أحزن ذلك وادي كثيراً وراح ينظر إلى السماء وعيناه مغرورقتان بالدموع حتى كاد ينسى المهمة التي كلّفته بها الأميرة!! ولكن فجأة لفت انتباهه صوت ضحك، وإذ بفتاة ترتدي ثوباً بنفسجياً تسير برفقة والدتها. إنه يعرفها فهي البنت الجديدة في المدرسة. اسمها هادية أو هاوية.. شيء من هذا القبيل. نظر إلى الفتاة تقفز إلى جانب أمها وبدت الأم

ثم راحت زوجة العمدة تحل الزنّار الحريري المنسوج يدوياً والذي يلف خصرها ويتدلى طرفاه من العقدة إلى كاحليها.

هزت الأميرة رأسها مرة أخرى.
أخذت إحدى الوصيفات العقد اللؤلؤ فمدّته على الأرض باتجاه أقرب الجوائز، ومدّت بعده الزنار الحريري.

غصَّت المدعوات.

ياللأسف!! إن طولهما معاً لايكفي حتى للوصول إلى الجائزة الثالثة!! كلّهن يعرفن أن زوجة العمدة تهدي أية جائزة تربحها إلى الأعمال الخيرية، ولهذا يسعدهن أن تربح.

وقفت زوجة العمدة صامتة وبعض المدعوات يصرخن ويضحكن بتوتر ويتناقشن فيما يمكن عمله، وصاحت إحداهن: ((لماذا لاتستعيري ماتحتاجينه من الأخريات؟))

ـــ ((كلا!)) هزت الأميرة رأسها معارضة وقالت:
((يؤسفني أن أخبركن بأن هذا مخالف لقواعد

صاحت المدعوات بإعجاب لدى رؤيتهن الوشاح الجميل، وقد راحت خيوطه الذهبية والفضية تلمع تحت الأضواء.

وُضعت الجوائز على ثلاث موائد تبعد كل منها عن المدعوات مسافة أكبر من الأخرى.

ـــ ((والآن، ليس عليكن لِتربحن أياً من هذه الجوائز إلا الاتجاه نحوها، ومتى وصلت إحداكن إلى جائزتها صارت الجائزة ملكاً لها... بشرط...)) خيّم على القاعة صمت يسمع معه رنين الإبرة لو سقطت أرضاً!!..

وتساءلت المدعوات في أنفسهن: ماهو الشرط؟..

وتابعت عريفة الحفلة: ((تمشي إحداكن إلى جائزتها شريطة ألا تدوس إلا على ماهو طبيعي ويدوي الصنع!!))

أخذت المدعوات يتناقشن بلهجة يشوبها التوتر، ثم اتجهت أنظارهن جميعاً إلى زوجة العمدة التي كانت دائماً أول من يبدأ اللعبة. أما هي فكانت تبتسم... إنها متهيئة!!
وقفت، وبدأت تخلع عقد اللؤلؤ الطويل الذي كانت حلقاته تحيط بعنقها وقالت: ((إنها لآلئ طبيعية، ضُمّت معاً باليد.))

هزّت الأميرة رأسها موافقةً.

لم تكن زوجة العمدة لتفقد الأمل فأجابت: ((لا.. ليس الأمر كذلك!)) والتفتت إلى صاحبت العمامة البيضاء وقالت: ((أودّ أن أشتري منك هذه العمامة، فما هو الثمن الذي ترغبين؟))

وصعد صوت ابنتها التي أرادت أن تمزح: ((مائة قطعة فضية، سيدتي!)) حملقت الأم بابنتها مؤنبةً والتفتت لتعتذر لزوجة العمدة لكنها لم تتمكن من ذلك إذ سرعان ماأجابتها هذه: ((اتفقنا. مائة قطعة فضية. وها هو توقيعي بذلك على صك البيع.)) فَغَرَت الأم فاها وهي لاتصدّق مايحدث، وقامت فقدمت لزوجة العمدة عمامتها. أما ابنتها التي سنسميها هاوية فراحت تقفز برعونة كالعفريت الصغير مصفقة بيديها بحماسة بالغة.

مدَّت زوجة العمدة قماش العمامة الذي وصل إلى منتصف المسافة، ثم خلعت حذاءها وراحت تسير على القماش ببطء حاملة عقدها اللؤلؤي وزنارها الحريري اللذين قامت بمَدّهما والمشي عليها الواحد بعد الآخر حتى وصلت أخيراً إلى الجائزة الثالثة!!

صفّقت المدعوات بحرارة وقامت الأميرة فقدَّمت إلى زوجة العمدة الوشاح الثمين وهنأتها على فوزها مبتسمةً.

وفجأة تعالت أصوات الدهشة عندما مدت زوجة العمدة الوشاح الذي ربحته على الأرض ومشت عليه باتجاه الجائزة الثانية.. ولكن..

ومع أسف جميع المدعوات (إلا واحدة) لم يكن طوله كافياً.

اللعبة ، فالأشياء التي تدوس عليها يجب أن تكون ملكاً لها!))

خيمَّ على المدعوات شعور بخيبة الأمل.. فسكتن. ولكن زوجة العمدة ـــ التي لم تكن ممن يقبل الهزيمة ـــ راحت تنظر بعينيها الثاقبتين إلى المسافة التي تفصلها عن الجائزة وتفكر بخطوتها التالية.

نهض عندئذ عدد من المدعوات ورُحن يحاولن الوصول إلى الجوائز بًمدّ ماكان لديهن على الأرض، تساعدهن في ذلك الوصيفات اللواتي كن يتأكدن من أن تلك الأشياء مصنوعة باليد ومن مواد طبيعية.

وكان من بينهن السيدة صاحبة العمامة القطنية البيضاء التي حلّت عمامتها المنسوجة يدوياً وراحت تمدها على الأرض.

واشرأبت الأعناق.. لقد امتدَّ قماش العمامة مسافة تقارب النصف إلى الجائزة الثالثة!.. يالالأسف! إنها لاتكفي!! أسندت السيدات ظهورهن إلى مقاعدهن خائبات الأمل... وصاحت إحداهن: ((إن هذه القواعد مستحيلة!.. كيف يمكن لأي فرد الوصول إلى أية جائزة لوحده؟))

تشدها من ثوبها وتقول: ((اجلسي!.. لاتجعلي من نفسك أضحوكة الحفلة!!))

نظرت المدعوات إلى هاوية مبتسمات: يبدو أن هذه الفتاة لم تفهم قواعد اللعبة!.. ماذا يمكن أن تدوس عليه لتصل إلى الجائزتين؟..

مشت هاوية إلى الأميرة ورفعت طرف ثوبها ليرى الجميع حذاءها الجميل الزهري اللون ذا العقدة البنفسجية، ثم قالت ـــ وهي تنظر إلى الأميرة نظرة متسائلة: ((هذا الحذاء مصنوع باليد من الجلد الطبيعي.)) ابتسمت الأميرة وهزت رأسها موافقة. ضجت القاعة بالتصفيق! يالهذه الفتاة الصغيرة كم هي ذكية!! لم يكن أحد يتوقع هذا!! ورحن يعددن خطوات هاوية مع التصفيق صفقة واحدة لكل خطوة تخطوها وهي تمشي وترقص متجهة نحو الجائزتين بخط متعرج.

طبعاً لم تحاول السير بخط مستقيم لأنها كيفما سارت فإنما تدوس على حذائها المصنوع باليد من مواد طبيعية!!..

وتعالى صوت المدعوات وتصفيقهن: ((واحد وخمسون.. اثنتان وخمسون.. ثلاث وخمسون!..)) وكان من الواضح أن هاوية تستمتع كثيراً بما تفعله، بينما كانت زوجة العمدة تنظر إليها وملء عينيها الشك... متنقلة بنظراتها تلك بين البنت وأمها التي جلست وحدها تراقب ابنتها وهي لاتكاد تصدق ماتراه...مغرورة إلى هذا الحد يابنتي؟.. وانحنت زوجة العمدة وهمست لبعض صديقاتها الجالسات قربها، فهززن رؤوسهن مؤيدات، فما كان منها إلا أن نهضت

التقطت زوجة العمدة الوشاح من الأرض ووضعته على كتفيها وعادت إلى مقعدها مبتسمة بين تصفيق الحاضرات.

همست هاوية في أذن أمها بلهجة فيها حسد: ((أليس هذا الوشاح رائعاً؟ كم أنني سعيدة لعدم وصولها إلى الجائزتين الثانية والأولى!.. إنها تملك حتماً عدداً كبيراً من اللوحات ومن السجّاد ولاتحتاج إلى المزيد!!)) أجابت أمها: ((ولكنها لو ربحت فإنها لم تكن لتأخذ الجائزتين إلى بيتها بيت العمدة بل ستبيعها وتنفق ثمنها على الفقراء وأعمال الخير.))

ـــ ((وماهي أعمال الخير؟)) سألتْ هاوية وقد أدهشها ماسمعت.

ـــ ((إن أعمال الخير كثيرة جداً، ومن أول اهتمامات زوجة العمدة رعاية الأيتام و الفقراء مثلاً..))

صمتت هاوية بضع دقائق ثم همست: ((أريد أن أجرّب حظي في الحصول على هاتين الجائزتين!))

أجابتا أمها وقد نفذ صبرها: ((اسكتي!)) ولم تكد تنهي كلمتها هذه حتى اعتراها الذهول وهي ترى ابنتها تنهض وتطلب من الحضور وبأعلى صوتها الانتباه!!

ـــ ((إن لدي شيئاً مصنوعاً باليد من مواد طبيعية، وسأدوس عليه كي أصل إلى الجائزتين!..))

خيَّم الهدوء والدهشة على الجميع، بينما راحت أم الفتاة

أما ثمن نجاح هذه الفتاة فقد دفعه رجل فقير وبريء هو صانع الأحذية الذي خسر كل شيء. فهذه الفتاة قد ربحت جوائز ثمينة ولكنها خسرت ماهو أغلى بكثير: خسرت مروءتها!))

وعلّقت الأم على ذلك بقولها: ((هذا صحيح. لقد ارتكبت ابنتي خطأً جسيماً في اعتقاد منها أنها تساعد والدها. فقد سمعته يقول بأن مصنع الأحذية الذي افتتحه مؤخراً سيزدهر إذا اتجه الناس لشراء الأحذية المصنّعة آلياً، وأنه بحاجة إلى من يقوم بالدعاية لمنتجاته، فطمأنته ابنتنا بأنها ستقوم هي بعملية الدعاية عن طريق من تعرفه ولكننا أبداً لم نتوقع....))

وقاطعتها زوجة العمدة قائلة: ((إن الفتاة عملت جاهدة كي تزدهر أعمال والدها في أقصر فترة ممكنة.. ونجحت في مساعيها لأننا، كما ترين أيتها السيدات الفاضلات، نلبس جميعنا ـــ نحن البلهاوات الحاضرات هنا الليلة ـــ أحذية مصنّعة في معمله!.. لقد تصرَّفت الفتاة بطريقة تخلو من الذوق والتفكير السليم، ووقعنا في شباكها!)) ثم نظرت إلى هاوية وقالت: ((أعتقد أنك أول من أشاع بأن منتجات صانع الأحذية تجلب الشؤم، أليَس كذلك؟))

أطرقت هاوية برأسها، ولم تجرؤ على رفع ناظريها عن الأرض، فهي لاتستطيع الإنكار. واسترسلت زوجة العمدة: ((من المزعج أنك أنت التي همست في أذن صديقتك في المدرسة حين تعرّضَت المعلّمة لحادث فسقطت عن كرسيها. كان من الأولى أن يكون النجّار صانع الدرجات الخشبية هو المسؤول، لاصانع الأحذية المسكين!!))

بـانفعـال وذهبت إلـى الأم وتبادلت معها بعض الكلمات ـــ بدت بعدها السيدتان في حالة من الانزعاج الشديد.

في هذه الأثناء كانت هاوية قد وصلت إلى الجائزة الثانية واتجهت منها إلى الجائزة الأولى. وكانت صوت المدعوات يتردد عالياً:
((ثمان وثمانون... تسع وثمانون.. تسعون!!)) وضج المكان بهتاف عال عندما حملت هاوية اللوحة الزيتية بكلتي يديها.

أما أمها وزوجة العمدة، فلم تلحظ أي منهما نجاح هاوية لأنهما كانتا منهمكتين في حديث طويل وكانت العبرات تملأ عيني الأم.
لكن مالبث أن دوى التصفيق فقد استدارت هاوية نحو أمها تقدم اللوحة لها، وارتبكت الأم وصاحت: ((لا! لا أستطيع أن أقبلها!)) ثم نظرت إلى زوجة العمدة بأسف وقالت: ((أرجوك.. اقبليها مني.. فهي للأيتام.)) وأخذت اللوحة من يدي ابنتها تقدمها لزوجة العمدة. وسألت هاوية أمها مستغربة مايحدث: ((ماذا هنالك؟ ماالذي يزعجك ياأمي؟)) ولكن أمها أشاحت بوجهها عنها.

أما زوجة العمدة التي هزت برأسها قبولاً للهدية فقد تجاهلت هاوية تماماً ونهضت موجهة حديثها إلى جميع الحاضرات وقالت: ((لكل شيء ثمن.. حتى النجاح له ثمن.

مصدر واحد هو هاوية. كانت الأميرة ووصيفاتها يراقبن الأحداث بصمت.

وتساءلت إحدى المدعوات: ((وكيف تفسرين إذن وقوع تلك الحوادث؟))

أجابت المعلمة: ((إنها عادية تحدث مثيلاتها كل يوم، ولكن الناس هم الذين تصوروا النحس سبباً لها. ألا ترين ذلك معي؟

إن أهل هذه المدينة يبتاعون أحذيتهم من الدكان ذاته منذ سنوات عديدة جداً ـــ وقد حدث الكثير تلك السنوات ـــ من الأحداث منها ماهو مفرح ومنها ماهو مؤسف. هل ظنّ أحدنا أن سبب ذلك يعود إلى مايغطي أقدامنا من أحذية؟..))

واسترسلت المعلمة بين خجل بعض الحضور وضحك البعض الآخر: ((والذي جرى مؤخراً أن شخصاً ما بدأ بنشر إشاعة ساعده الآخرون بترديدها أو على الأقل سمحوا لها بالانتشار فلم يضعوا حداً لها. وإني لأرجو اللّه أن يغفر لي تقصيري هذا. لقد كان واجبي أن أقول أو أفعل شيئاً ما لإيقاف تلك الإشاعة ولكنني لم أفعل... لقد أسهمتُ في إيذاء صديق قديم هو صانع الأحذية وأسأت إلى أسرته. إن اللوم أيتهًا السيدات يقع علينا كلنا وليس على الفتاة وحدها!))

أطرقت المدعوات وهن يشعرن بالذنب.

سألت هاوية والدموع تسيل على خديها: ((ولكن كيف

فأجابت هاوية وهي تبكي: ((ولكنني كنت أمزح فقط!))
قالت زوجة العمدة: ((ربما بدأت بالمزاح، ولكنكِ وددتِ بعد ذلك استمرار سوء الظن، أليس كَذلك؟))

ردَّت هاوية: ((إنني لم أقصد أبداً الإساءة إلى أحد!..))
فصرخت سيدة من الخلف: ((إذن، لماذا لم تضعي حداً لهذه الشائعات؟ لقد أخبرني ابني أنك قلت له إن الشؤم سيتضاعف إن لم ترجع الأحذية إلى صانعها َ وأن معلمتكم هي التي أخبرتك بذلك!))

دافعت المعلمة عن نفسها بصوت غاضب: ((أنا؟.. أنا لم أقل شيئاً من هذا القبيل!! تفترون الكذب عليّ؟ لو كان هذا الكلام صحيحاً لما احتفظت بحذائي، فأنا لم أرجعه إلى صاحبه!! إنني لا أؤمن بالنحس!))

ـــ ((إذن لماذا لم تلبسي ذلك الحذاء اليوم أيتها المعلمة؟)) سألتها إحداهن.

ـــ ((لأنني لو فعلت لتوقعتن جميعاً أن يصيبني الليلة مكروه ولراقبتنني بانتظار ذلك. نظراتكن تلك ستربكني وتسبب لي الحرج.))

فعلقت زوجة العمدة على قول المعلّمة معترفة بأن هذا ماشعرت به هي أيضاً. كما وضّحت عدة مدعوات بأنهن – رغم عدم إيمانهن بالنحس فإنهن ارتكبن الحماقة نفسها التي ارتكبها الجميع ففضّلن عدم ارتداء أحذيتهن اليدوية الصنع خوفاً من نظرات من يؤمن بالشؤم ويتوقع حدوثه. وراحت جميع المدعوات يتكلمن ويقارنّ بين القصص والأكاذيب التي سمعنها، واكتشفن أن جميعها تعود إلى

تحاشت هاوية أن تنظر إلى صانع الأحذية المسكين. كم كان يبدو حزيناً ومتعباً... وكل ذلك بسببها!! كان يجب عليها أن تعوّضه فوراً عما سببت له من شقاء، فانطلقت خارجة من القصر مسرعة لاتكاد ترى طريقها من شدة البكاء.

وعادت بعد فترة وجيزة.. ولن نسميها هاوية بعد الآن، إذ أن التي عادت تائبة ممسكة بيد والدها كان اسمها هادية. قادت هادية والدها صاحب المصنع إلى حيث كان صانع الأحذية يجلس مُطرقاً، ودخل الرجلان في حديث طويل انتهى بالابتسام المتبادل والمصافحة الحارة باليدين.
ابتسمت هادية وهي تنظر إلى وادي الذي سمع ماجرى بين الرجلين، فقد اتفقا أن يبعث والدها إلى والده أربعة من عمال المصنع للعمل تحت إمرته خلال الأشهر الأربعة القادمة.

قالت الأميرة معلنة للحضور: ((لقد تمَّت الصفقة وأصبح بإمكانكم الآن طلب ماتشاؤون من أحذية مصنوعة باليد، وسيقوم وادي بتسجيل الطلبات!))

ابتسم وادي باعتزاز لقولها وقام إلى عمله، ولكنه لم يتمالك نفسه من الضحك عندما قالت له أقدم زبونة وهي تنظر إليه بدهشة:

((إنك لولد ظريف جداً! لماذا لم نَرَكَ قبل الآن في دكان أبيك؟))

اكتشفتن أنني أنا التي بدأت بالإشاعة؟))

وجاء دور الأميرة لتشارك في الحديث فقالت: ((كنت أنت الوحيدة التي تعرف تماماً أن الموضوع بأكمله لايعدوَ أن يَكون مجرّد كذبة، لأنك وحدك من سكان المدينة كنت تلبسين الحذاء الذي لم يعد يلبسه سواي وسوى وصيفاتيَ وعائلة صانع الأحذية!))

أرسلتْ الأميرة من جاء على عجل بوادي ووالده، وقامت هاوية بتقديم اعتذارها وأسفها إلى الجميع وخاصة صانع الأحذية وأهدت إليه السجادة الثمينة عربون توبتها. ثم قالت والدموع تنهمر من عينيها: ((لست أدري كيف يمكن تصحيح الخطأ الذي ارتكبتُه.. إني أرجو العفو فقد أسأت إليكم..))

نظرت المدعوات إليها بغضب دون أن ينبسن بكلمة، وتمنّت هاوية لو أن شيئاً مما حدث لم يكن. وفجأة تقدّمت المعلمة لإنقاذ الموقف، فعانقت الفتاة الباكية وحضنتها بحنان، فقامت بعض المدعوات يعانقْنها أيضاً. وتحلّق الجميع بصانع الأحذية، كل واحدة تطلب منه أن يصنع لها حذاء من أحذيته الجميلة المريحة.

ورغم السرور الذي داخل صانع الأحذية لالتفاف زبائنه حوله، فإنه قال معتذراً: ((إنني أضعف من أن أقطع ماتحتاجه هذه الطلبات من الجلود فأدبغها وأصبغها وأصنع منها الأحذية، لكن قد أفعل ذلك مستقبلاً عند استعادة قوتي ونشاطي.)) ثم أضاف بأنه يقدم السجّادة إلى المحتاجين.